

واقع الاندماج الاجتماعي للمثقف ودوره في بناء المجتمع الجزائري

د. رويمل نوال

المدرسة العليا للعلوم التسيير-عناية-

الملخص:

لا يخلو الحراك الاجتماعي في جميع دول العالم من الدور المؤثر الذي تلعبه الفئات المثقفة، التي غالبا ما تكون طرفا فاعلا فيه. حيث تؤثر في بناء المجتمع وتدعيم أسسه. لم تقتصر مساهمات المثقفون بمختلف أصنافهم من مفكرين وجامعيين وأساتذة، باحثين وإطارات وغيرهم...، على عصر معين، بل شملت كل العصور، فهي تمثل فئة ثقافية وفكرية وعلمية تساهم في التغيير الاجتماعي والتطور العلمي وتقدم المجتمع. ولذلك يوصف المثقف بأنه "الشخص الملتزم و الواعي اجتماعيا"، يؤطر سلوك الفرد والجماعة، ما يعطي قيمة لدوره التاريخي والتنموي، ما يملكه من وعي اجتماعي يمنحه رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة، ويشكل الفعل الذي يؤكد القيم السليمة، ويغرس القيم الإيجابية بدلاً من تلك السلبية. والمثقف لن يقوم بفعله المنوط به ما لم يتوفر فيه الوعي الاجتماعي ويتسم بالعقلانية بما يتوافق مع التنوع المحلي والوافد الثقافي. لذلك فإن إشكالية المثقف ودوره القيادي في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا تتمثل في امتلاكها لفئة مثقفة تفتقد صحوة فكرية تتلائم ونمط الحياة الجديدة حيث تؤثر في عمليات الممارسة الفعالة التي تتحكم في مختلف الموارد البشرية والمادية والمالية والمعنوية.

والتساؤل المطروح هو: هل يقوم المثقف الجزائري بدوره المؤثر في بناء

المجتمع الجزائري وتدعيم أسسه؟

Abstract:

In all countries of the world, societies benefit from the influential role played by the educated class through social mobility. This active class has a positive impact on community building and strengthens its foundations. Contributions of different kind of intellectuals as: thinkers, professors, researchers and others are not limited at a certain age, but included all ages which represent a cultural, intellectual and scientific category that leads social mobility, scientific development and progress of society. Therefore, intellectual person is described as "A person committed and socially conscious" oversees individual and group behavior what gives value to its historical and developmental role and this through his/her social awareness which bids him vision of society and its issues from a comprehensive approach and poses the act that confirms flawless values and instills positive ones instead of those negative. Intellectual won't do what is intended from him/her, unless He/She has a social consciousness characterized by rationality in accordance with local cultural diversity and newcomer culture. Therefore, the problem of intellectual and leadership role in the Arab world in general, and especially Algeria is that it includes an educated class with a lack of intellectual awakening which does not fit new style of life and affects effective practice of that control in various human, material, financial and moral resources.

The question arises: Does the Algerian intellectuals play influential role in the construction of the Algerian society and strengthen its foundations?

المقدمة:

إذا تأملنا تجارب وتواريخ المجتمعات، نجد أن كل مجتمعا في التاريخ القديم و الحديث لديه مثقفون أنجزوا الخطوة الأكبر في وضع المجتمع ضمن سياقات ثقافية جديدة وأكثر تطوراً، و كانت هناك دوماً فئة مثقفة تقوم بإحداث تغيير في ثقافته الشعبية عن طريق التنوير، ثم يأتي الجدال المعقد بين المجتمع والدولة لينتج تشكيلات ثقافية جديدة يعيش ضمنها المجتمع، ولا يمكن لنا تفسيرها بدون الحديث عن "دور المثقف" فهي من أكثر الأفكار عمقا في التحليل السوسيولوجي....

تمثل فئة المثقفين مجموعة من الأفراد يتمتعون بالموهب والحكمة والمهارات والعلم والمال والخدمات الاجتماعية والإنسانية. إذ تختلف النظرة إليها باختلاف المجتمعات ودرجة تقدمها أو تأخرها، وبإختلاف العصور أيضا ففي بعض البلدان مثلا ينظر إليهم على أنهم القادة، أما في بعض البلدان فتري أن وظيفتها ثقافية بحثه ولا تخرج عن هذا النطاق، و بعض البلدان ترى أنهم المتعلمين وخريجي الجامعات في التخصصات المختلفة و البعض الآخر يرى أنهم يمثلون جيل التغيير في المجتمع. لكنهم من دون أن يدرون يؤثرون في سير المجتمع وتوجهه عن طريق دورهم الحيوي في تنمية المجتمع، متى توافرت لهم ظروف المشاركة في تلك التنمية، وأمنوا هم بقيمة هذا الدور، حين يحلل المثقف ويوضح الحقائق وينبه إلى المخاطر، فالفئة المثقفة تمثل العين التي يرى من خلالها المجتمع ما يحدث في العالم من مجريات وأخطار، بكافة أشكالها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، عن طريق وضع مقاربات تنويرية وتحليلات واقعية مختلفة، تمكنها من المشاركة في صياغة تاريخ المجتمع، بواسطة التأثير الذي تمارسه، سواء كان ذلك عن طريق إتخاذ القرارات، أو الأفكار التي يتخذونها شعاراً لهم.

لذلك نجد أن دور المثقف يعد من القضايا المهمة في العصر الحديث نظرا لأهميتها في تطوير البلاد وتغييره نحو الأفضل للمجتمع والأفراد على حد السواء، حيث يؤكد المختصين في علم الاجتماع السياسي أن المجتمعات النامية لازالت بحاجة الى فئة مثقفة لها التأثير الفعال والايجابي.

حيث يواجه المثقف الجزائري شأنه شأن المثقف في أي مكان تحديات مستمرة من منطلق أهميته في تطوير البلاد في ظل التغيير الذي يهب على العالم بمعدلات أسرع منها في أي وقت مضى والتكيف مع ما يعرف بالعولمة. التي أدت إلى تشابك المفاهيم في المجتمع، وسيادة الضبابية في الفضاء الاجتماعي والثقافي، و تنامت ظاهرة انتساب أشباه المثقفين إلى دوائر الفعل،

مما أثر سلبا على أداء دور المثقف بالصورة المطلوبة. وقد شهد المثقفون الجزائريون تحديات كبيرة من الاستقلال الى يومنا هذا، عبرت بشكل واضح عن عجز الفئة المثقفة الجزائرية في تبني ثقافة راهنة ومستقبلية تسير بالمجتمع نحو التطور التقدم، والتي للأسف تأثيراتها لم تستجب لتحديات العولمة.

وعليه هذا المقال موجه للتساؤل التالي: ما نظرة المجتمع الجزائري للمثقف؟ وما واقع اندماجه اجتماعيا فيه؟

هل يقوم المثقف الجزائري بدوره وهل له تأثير ايجابي في بناء المجتمع؟

أولا: تحديد المفاهيم:

1- مفهوم الثقافة:

لكل أمة ثقافة خاصة بها، تسعى لترسيخها وتثبيت جذورها في شتى المجالات الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، وتعمل على المحافظة عليها، والاهتمام بها، وتأصيلها في أبنائها لأنها وثيقة الارتباط بالإنسان، وإكمال شخصيته من الناحيتين: المادية، والروحية. حيث تتعدد الثقافات، وتختلف باختلاف المبادئ والتصورات الفكرية لدى الأمم. فهي حصيلة مقومات شتى تكون في النهاية صورة معينة، وشخصية خاصة لأي أمة، بكل ما تحمله من تصورات وأفكار، وآمال، وتطلعات أ- الثقافة لغة: هي ترجمة لكلمة CULTURE وتحمل معنى الرعاية والعناية، الثقافة كلمة قديمة وعريقة في اللغة العربية، فهي تعني صقل النفس والمنطق والفظانة، و أصل كلمة ثقافة مأخوذ من الفعل "ثقف". يقال: ثقف الرجل ثقفاً وثقافة: أي صار حاذقاً خفيفاً فطناً. "وثقف نفسه" أي صار حاذقاً.

ب- الثقافة اصطلاحاً: إن المعنى الاصطلاحي لكلمة "ثقافة" أوسع بكثير من معناها اللغوي، ذلك أن التعريفات الاصطلاحية لها اختلفت باختلاف توجهها المعرفين وتخصصاتهم العلمية، حيث يعرف ادوارد تايلور الثقافة: بأنها ذلك

الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعارف والعقائد، والفن والأخلاق والقانون، والعادات و المنجزات الأخرى التي عملها الإنسان بوصفه فردا من المجتمع. (1) وضمن هذا المفهوم، يرى / جيمس سبرادلي (J. Spradley) أنّ ثقافة المجتمع، تتكوّن من كلّ ما يجب على الفرد أن يعرفه أو يعتقده، بحيث يعمل بطريقة يقبلها أعضاء المجتمع .. إنّ الثقافة ليست ظاهرة ماديّة فحسب، أي أنّها لا تتكوّن من الأشياء أو الناس أو السلوك أو الانفعالات، وإنّما هي تنظيم لهذه الأشياء في شخصيّة الإنسان. فهي ما يوجد في عقول الناس من أشكال لهذه الأشياء(2)

أمّا التعريف الثالث، وهو التعريف الأشهر، الذي وضعه الفيلسوف والمفكر الفرنسي "جوليان بندا" (1867-1956) "Julien Benda" سنة 1927، إذ يعتبر بندا المثقفين "...عُصبة ضئيلة من الملوك و الفلاسفة من ذوي القُدرات أو المواهب الفائقة والأخلاق الرّفيعّة..." ويضيف أنّهم يشكّلون "طبقة العلماء والمتعلّمين البالغى التّدرة نظرا لما ينادون به ويدافعون عنه من قضايا الحقّ والعدل(3)

ويري جيرالد أدونال Gerard O'donnell " أنه عندما تأسس جماعة بشرية ما طريقة حياتها وحيث تكون هذه الطريقة مقبولة بصورة عامة من الإرادة والمعتقدات، آداب السلوك، توصف بأنها ثقافتهم وتتضمن الثقافة اللغة والازياء وعادات الطعام والسلوك العام . (4) ويعتقد معظم علماء الأنثروبولوجيا أنّ الحضارة ما هي إلاّ مجرد نوع خاص من الثقافة، أو بالأحرى، شكل معقّد أو " راقٍ " من أشكال الثقافة. بينما علماء الاجتماع يميّزون بين الحضارة بوصفها " المجموع الإجمالي للوسائل البشرية " وبين الثقافة بوصفها " المجموع الإجمالي للغايات البشرية ".(5)

2- مفهوم المثقف : كلمة مثقف ترجمة لكلمة INTELLECTUEL وهي أقرب لكلمة مفكر لأنها مشتقة من كلمة INTELECT، كما يعرف مجمع اللغة العربية الثقافي بأنه " كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد والمجتمع " (6) والمثقف والثقافة لغة مشتقان من ثقف وتدل على عدة معاني منها الحذق، سرعة الفهم، الفطنة، الذكاء، سرعة التعلم وتسوية المعوج من الأشياء والظفر بالشيء.(7)

ويرى غرامشي أن المثقف لا يشكل انعكاسا للطبقة الاجتماعية وإنما هو يؤدي وظيفة إيجابية في تحقيق تصورها -رؤيتها للعالم - بشكل متجانس. (8) ولذلك يحدد دور المثقف ومسؤوليته تجاه الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهذا الدور " لسان حال للطبقة الناطقة باسمها وصداها الاعلامي الداعي لإنكارها والناشر لمبادئها أي أنه منتمي الى طبقة .

يستمد المثقف بصفته فاعل اجتماعي فاعليته من انتمائه الى نخبة تملك القدرة على انتاج المجتمع من خلال انتاج الأفكار والمفاهيم الضرورية لاعطاء أفراد المجتمع هويتهم و تبرير مؤسساتهم وممارستهم أو دعوتهم الى تأسيس حياتهم الاجتماعية على أفكار ومفاهيم جديدة. (9) . ومنه المثقف هو ناقد اجتماعي همه تحديد وتحليل والعمل على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل نظام أكثر انسانية وأكثر عقلانية كما أنه الممثل لقوة محركة اجتماعيا يمتلك من خلالها القدرة على تطوير المجتمع من خلال تطوير أفكار هذا المجتمع ومفاهيمه الضرورية. لانه يمتلك قدرا من الثقافة تؤهله لقدر من النظرة الشمولية وقدر من الالتزام الفكري تجاه مجتمعه، وهو مبدع كل يوم، ذلك الابداع يجعله يفصل بين القول والفكر بين التحضر والتطور وبين الثقافة وعدم الثقافة .

ثانيا : المثقف والمجتمع:

الإنسان بطبعه إجتماعى ولا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع، كما أن تقدم المجتمع وازدهاره يعتمد بالدرجة الأولى على تقدم أفراده، إذن فلا بد من النظرة للمثقف نظرة فردية وإجتماعية، على المستوى الفردي المثقف أساس عملية التغيير في المجتمع والمحافظة على توازنه ويجب الإهتمام به وإعطائه فرصة لتقديم خدماته، وعلى المستوى الإجتماعي إعداد المثقف ما هو إلا وسيلة من وسائل إصلاح المجتمع، فالمجتمع هو كل شئ، يجب على الفرد أن يذوب فيه.

تظهر الفئة المثقفة عموماً نتيجة ظهور مجموعة من الأفراد الذين يرون ضرورة التغيير و تحرير العقول والأفكار وتقرير قيم ما يصح وما لا يصح من المعارف الإنسانية سارية المفعول. فتحدث تطورات في المجتمع، وتظهر عوامل تغير في تفكير الإنسان ونظرته إلى الحياة. ونتيجة هذه التطورات يظهر اتجاه فكري جديد نتيجة لعوامل متعددة، ومجموعة من الظواهر تعم المجتمع كله، نذكر من أهمها، حركة الإصلاح، والمطالبة بتقرير حرية الفرد واستقلاله الدعوة إلى التحرر من الجمود الذي أصاب العقول، وإلى منح الفكر الإنساني روح القوة الحيوية... كما تلعب الاكتشافات العلمية دور في توسيع رقعة العالم، والذهاب بأفاق الناس وإدراك عن الكون إلى أفصح مجال. حيث نجد أن في كل حضارة صفوة من المجتمع يعملون على تقديم معارفهم بكفاءة عالية وتقديم الحلول لما يظهر من مشكلات. وبهذا يمكن القول أن الغرض الأساسي من وجود المثقف هو القيام بدوره التنويري و التغيير وهذا ليس عملاً هامشياً، كل من يقرأ التاريخ يدرك هذا .. ولكن التنوير والتنظير والتغيير يجب أن يتناول كل الأنظمة الاجتماعية سواء كانت أخلاقية، اجتماعية، اقتصادية، تربوية...، لا أن يحصر المثقف ذاته في النقد و الشكوى والحصر أو الهروب والإنسحاب فالمثقف له مهمتان أساسيتان:

أ) المهمة الأولى: تتمثل في التعرف على المجتمع ودراسته بعمق وإحداث
جدل دائم معه

ب) المهمة الثانية: تدعيم أسس المجتمع واستقراره، باعتبارها الطريق
لإحداث انساق جديدة وسياقات مغايرة.

ولذلك تعد العلاقة بين المثقف والمجتمع علاقة جدلية بمعنى أن كلاهما
يؤثر في الآخر ويتأثر به، من جهة المثقف هو المسؤول على تطور المجتمع
وتقدمه، ومن جهة أخرى المثقف هو نتاج المجتمع فهو يتأثر بالأوضاع
الاجتماعية والاقتصادية وثقافية والسياسية في مجتمعه، يتأثر بظروف معينة
يمر بها المجتمع ويؤثر فيها، فهو مشدود ومرتبطة بالواقع الذي يعيش فيه ومن
هنا تتكون المواقف والأفكار والرؤى، فالمثقف له رؤية لمجريات الأحداث و
دراسة معمقة عن مراحل تطور الأزمات وكيفية معالجتها ويساعدها في ذلك
مسيرته الفكرية والتعليمية، فتسهم أعماله وأدواره في تغيير المجتمع وتطويره
نحو الافضل و معالجة الأزمات التي يعيشها تكنولوجيا واقتصاديا وتنمويا.
"حيث يكتسب المثقف قدرته على التأثير في المجتمع من انتمائه إلى نخبة واعية
لمكانتها الاجتماعية ومتعاونة لتكريس قدرتها الجمعية، وتوظيفها للتأثير في
الفعل الاجتماعي أي أنها قوة محرّكة ودينامية اجتماعية".(10)

فتشارك أيا كان نمط مشاركتها وطبيعتها ونوعها ومستواها ودرجاتها، المهم
أن تكون مشاركتها ذات فاعلية، فتساهم في إنتقال المجتمع بإرادته من حالة
إجتماعية محددة الى حالة أخرى أكثر تطورا و تقدما.

رابعاً: دور المثقف الجزائري وتأثيره في بناء المجتمع :

" دور المثقف"، عبارة تشير أن المثقف منتج للأفكار، وقادر على إيصالها للآخرين واقتناعهم بها مما يشكل بناء وعي مجتمعي يمكنه إزالة الكثير من التشوهات و الأفكار السلبية والتي باتت اليوم عائقا كبيرا أمام من يريد نشر الوعي والتأثير في المجتمع الذي هو جزء منه. لذلك المثقف الجزائري مطالب بوضوح الرؤية وشمول المعرفة، فالثقافة وعي ورؤية وقيم.. فهو لا يكون مثقف إلا إذا كان الوعي الفردي مهيمناً لديه.. "فهو كائن فردي تتمثل فرديته في كونه كفرد له وعي خاص ورأي خاص، ربما رؤيا للعالم خاصة". (11)

وما نقصده هنا هو دور المثقف المنتج في نشر وعي جديد لا القيام بإنتاج الفكر التقليدي الذي لم يعد يتماشى مع العولمة وما تفرضه من قيم، كما أن دور المثقف ليس إبقاء المجتمع في دائرة معينة من الأفكار الغير مجدية، بل دوره هو انتاج أفكار تتجه بالأفراد المجتمع إلى الفكر الايجابي المنتج، التي تجعل المجتمع منتجا هو الآخر، والفكر المنتج لا يقصد به تقليد الغرب ومحاولة استيراد تجاربه الناجحة وتطبيقها بطريقة آلية دون القيام بتعديلات تتماشى مع وضع مجتمعا و طبيعة الفرد الجزائري الذي تحول إلى فرد سلبي وكسول. مما يجعل المشاريع المستوردة تفشل في كل مرة بحكم عدم وجود مقومات نجاحها في المجتمع الجزائري.

وبكل تأكيد علينا أن نعتزف أن المثقف الجزائري يبتعد يوما بعد يوم على انتاج أفكار ايجابية بسبب عدم قدرته على مواكبة التطور الحضاري من جهة و بسبب القوى التقليدية التي مازالت تتحكم بالمجتمع وما تبثه من أفكار من جهة أخرى، وبالتالي المثقف هنا يعيش صراع حقيقي بين ما يريد إيصاله وما هو موجود في الواقع، رغم أن المثقف المفروض ألا يحاول الإطاحة بوجهات نظر الآخرين.. حيث يقول فولتير : "قد أختلف معك بالرأي، ولكنني مستعد أن أدافع حتى الموت عن حقك في أن تقول رأيك".

وهذا قد يقودنا إلى فكرة أن ما عاشه المثقف الجزائري منذ الاستقلال إلى يومنا هذا من أحداث هي ما جعلته عاجز على بناء رؤية جديدة تتناسب والعصر الحالي. لأنه لم تسمح للمثقف المنتج أن يكون جزء مهم في بناء المجتمع وتدعيم أسسه، ومع مرور الوقت أنتج المجتمع الجزائري مثقف مستهلك، بعضهم أدمن ما يراد الآخر ايصاله اليه، وبعضهم انعزلوا عن المجتمع، وظهر أشباه المثقفين، ومن ثم غاب دور المثقف الجزائري وتراجع. وأصبحت تتردد مقولة أن النخب الجزائرية لم تنضج بعد لممارسة الديمقراطية. فأهم صفات المثقف هي قبول التنوع والإختلاف على أساس، من حرية الفكر، والضمير، واحترام القيم الأخلاقية، والحضارية، والابتعاد عن التسلط و المعرفة الزائفة التي لا تقام على أساس عقلي. (12)

وهكذا يرى البعض أن دور المثقفين الجزائريين انحصر فيما أسماه عالم الاجتماع الأمريكي Alvin Ward Gouldner "ألفن جولدنر" مجرد أفراد ينتمون إلى ما يسميه بـ "ثقافة الخطاب النقدي". (13) لكن المهم أن يكون هذا النقد بناء يعمل على غريبة الأفكار ليستخدم كميزان للتصحيح والتطوير، وليس النقد الهدام أو النقد لأجل النقد أو استخدام تعابير سيئة ... غالبا هذا النوع من النقد يغلق أبواب النقد ويحصر المجتمع في أفكار متناقضة ومشتتة وبالتالي النقد هنا يأتي بنتائج سلبية، فالثقافة تهدف إلى تثقيف العقول، وصلها، وترقية الذوق وتهذيب السلوك وليس العكس ... إن نظام القيم والأفكار والعقائد، هو المحدد الحاسم عند ماكس فيبر Max weber للنشاط الاقتصادي ويقول بأنه إذا كانت الرأسمالية هي التي خلقت الثروة، واقتصاد السوق فقد كان ذلك بفضل القيم الثقافية التي أسست للعقلانية والحداثة و الديمقراطية (14) ، هذه القيم الثقافية هي التي تساعد المجتمع على الإحساس برابطة الهوية المشتركة، ومنه الإهتمام بالمصلحة الجماعية.

وهناك من يرى أن ما مر به المجتمع الجزائري من أحداث وظروف إختزلت صورة المثقف بوضعه في إطار معين جعلته لا يؤدي دوره بشكل ايجابي، رغم أنه صاحب مهمة صعبة تحتاج إلى موهبة خاصة تمكنه من حمل رسالة نشر الأفكار، التي تخلص الناس من الجمود الفكري، محاربة كل أشكال التنميط، التي يشيعها، وسائل الاتصال الحديثة.

فدور المثقف الجزائري يجب أن يتعدى تكديس القيم والأعراف والتقاليد والمعرفة دون ترجمتها إلى أفكار ايجابية تخدم المجتمع نظريا ومن ثم تحويلها إلى سلوكات تطبق واقعا وتدمج في المجتمع بما يساعد على تقدمه وتطوره. لذلك يقول ادوارد شيلز (E.shils) توجد في كل مجتمع أقلية من الأشخاص الذين يتمتعون، بقدرة تفوق طاقة، سواهم من البشر العاديين على التساؤل والبحث وتحفزهم الرغبة في التواصل المتكرر مع الرموز الأعم والأشمل، من المواقف العملية في الحياة اليومية، لأن النفاذ إلى أسرار هذه الرموز، والتعبير عن معانيها بالكتابة هو الذي يميز المثقفين أوالمفكرين في كل مجتمع. (15)

كما يلاحظ بأن المثقف الغير الأكاديمي اختفى من الجزائر وحل محله أساتذة الجامعات، لا يبدي أحد في المجتمع اهتماما بهم، لقد أصبح المثقف الجزائري أستاذا جامعيًا يعيش منعزلا، ويتمتع بدخل مضمون، ولا يهتم بالتعامل مع العالم خارج قاعة الدرس، وهم يكتبون بهدف الترقى، في المناصب الجامعية، لا من أجل التغيير الاجتماعي.. لقد تحول المثقف إلى مقدم للدروس و كاتب خطابات.

فهل أصبح ينطبق على المثقف الجزائري ما قاله عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو؟ (P.bourdieu) بأن هناك فجوة بين الخطابات وبين الأفعال، ويطرح السؤال حول إدعاء المثقفين قيادة المجتمع في مجال الأفكار والرموز. حيث شكك بورديو في عقائد المثقفين وأيديولوجياتهم الخاصة واتهمهم

بالتواطؤ مع مختلف أشكال السيطرة، تواطؤ نادرا ما يعلن عنه، وغالبا ما يتم التستر عليه.. (16)

والكثير من المثقفين الجزائريين أصبحوا يلقون اللوم على المجتمع الجزائري ويعتبرونه بيئة غير صالحة لإنتاج الأفكار، وهو ما جعل دورهم يتراجع وأدى إلى فقدانهم الثقة في أنفسهم وقدرتهم على التغيير نحو الأفضل، وفي أحيان كثيرة أصبحوا يكرسون الأفكار الغير ايجابية، "مما أدى إلى خلق مثقفين تابعين ومنزلقين (17) في حين أنهم أكثر الاشخاص المطالبين بالإبتعاد عن" الكره والحقد والعصبية والسلبية".

خامسا : استقراء كرونولوجي لدور المثقف في المجتمع الجزائري
التجربة الجزائرية في التحول الديمقراطي قامت على التجربة التاريخية" أي الجدل بين المثقف والدولة والمجتمع "وهنا تظهر الفروق بين المجتمعات، وهي فروق تظهر التميز والخصوصية بين دولة وأخرى في طريقة التسيير والتفكير والأهداف، حيث تميزت تجربة التحديث في الجزائر، باعتمادها على النظام الاشتراكي وتطبيقها للبيروقراطية، هذا الاختيار مازال الى يومنا هذا لم يصل الى تحقيق الأهداف التي سعى إلى تطبيقها منذ الإستقلال إلى يومنا هذا و التي تمثلت في اولا في اتجاه النخبة المثقفة الجزائرية للقضاء على مخلفات الإستعمار، الذي اتبع سياسة التهميش والتفجير والتجهيل في الجزائر "كانت نسبة البطالة في المجتمع الجزائري بعد الإستقلال تقدر بـ 70% و نسبة الأمية تقدر بـ 80%". (18) فوجد المجتمع الجزائري نفسه سنة 1962 متخلفا عن ركب الحضارة العالمية المعاصرة، ولكي يلحق بغيره من الشعوب المتطورة كان لزاما عليه أن يثقف أبناءه فخصصت ميزانيات ضخمة للتربية والتعليم.(19)
وثانيا من أجل تكوين مواطنين مثقفين يمكن الإعتماد عليهم في تدعيم إستقلال الجزائر و بناء دولة جزائرية قوية، وطبعا بوجود مثقفين في المستوى يمكنها الصمود أمام التحديات.

لكن للأسف المثقف انذاك لم ينظر ويحلل الأوضاع بالاعتماد على تفكير عميق إنما تحرك بطريقة آلية إستجابة لظروف إقتصادية وسياسية وإجتماعية ظرفية فرضت على الفئات المثقفة في مختلف المجالات، ضرورة إقامة نظام يتلاءم وروح التقاليد والعادات الجزائرية ورأت أن نمط التسيير الاشتراكي هو الأنسب لتسيير البلاد والذي يقوم على مبدأ أن المواطن هو الغاية و محاولة رفع مستوى المواطن إجتماعيا وإقتصاديا. لكن للأسف نتج عنه سوء تسيير و تأطير داخليين للمؤسسات نظرا لطرق العمل التي تبتعد كثيرا عن " فن الإدارة الحديث" (20) والتي ارتبطت بغياب الإطارات المتكونة و إن وجدت فهي تفتقد إلى الخبرة المطلوبة معتمدين على نظام بيروقراطي بدل تطبيق الأساليب الجديدة في التسيير. فتركزت وظيفة المثقف في العمل على المساهمة في خلق شروط الإستقرار السياسي للبلاد دون البحث عن التطوير والتحديث. رغم أن الشعب الجزائري نظر إلى الفئة المثقفة بأنها الجماعات التي تتولى اتخاذ القرارات المؤثرة في سياسة المجتمع، واعتبرها مصدر القيم ومنبع المعايير والاتجاهات، وأن لها دور رئيسي في تنمية المجتمع. ليتضح بعد سنوات أن المثقف الجزائري إما له اتجاه محافظ توجه مصالحه الخاصة، أو مثقف ليس له تأثير، وربما يرجع ذلك الى التغيرات الإجتماعية السريعة التي إرتبطت بالحراك الإجتماعي في شكله الأفقي و العمودي التي "أثرت بوضوح في المنظومات القيمية والمعيارية وكانت إحدى النتائج التي رافقت تلك التحولات الرفض الصريح للنخب الإجتماعية التي أنتجت عمليات الحراك السريع والتساؤل عن مدى مشروعية المكانة التي تحتلها والإمتيازات التي تحظى بها ذلك أن تكوين تلك النخب ارتبط بسيرورة تفاوت إجتماعي لم تفتأ حدته في التزايد ونطاقه في الإتساع مع مرور السنين (21). فوجدت الجزائر نفسها تتجه بخطى سريعة نحو الإبتعاد عن تكوين ثقافة عصرية وترجمتها في ممارسات رشيدة، جعلها تؤثر بوضوح في عدم بروز مثقف قادر على المنافسة

الموضوعية التي تحددها ضوابط وقواعد ويكون أساسها المصلحة العامة للدولة والمجتمع، فتأزمت العلاقة بين الدولة والمجتمع والمثقف بسبب فشل مشروع التحديث بالجزائر الذي لم يتحول إلى واقع ملموس وبقي على مستوى الخطاب الأيديولوجي فقط، فالطموحات والتوقعات كانت أكبر مما يمكن تحقيقه، فالجزائر بعد الإستقلال أرادت أن تكون دولة قوية بالإتجاه إلى الصناعة والقيام بمشاريع كبيرة في حين هي تفتقد إلى القاعدة الصناعية، كان الأولى أن تختار صناعات صغيرة وتبني معها قاعدتها الصناعية للنتيجة بعد ذلك للصناعات الكبرى فالتسرع وحرق المراحل لا يقود إلى النجاح .

تسارعت الأحداث في الجزائر حيث شهدت في الثمانينات تغيرات ملحوظة في المسار العام للفئة المثقفة التي أظهرت تناقض واضح بين الخطاب والممارسة فهي تدعم وتدعو إلى العدالة الإجتماعية والتقدم الإقتصادي إلا أن الواقع عرف " فشل وتيرة النمو الإقتصادي والإجتماعي بالتالي عدم تحقيق الأهداف التنموية، وعدم تحقيق مستوى معيشي مرتفع خاصة سنة 1986 حين ظهرت الأزمة الإقتصادية والإجتماعية الخانقة التي حلت بالجزائر بعد انهيار سعر النفط في السوق الدولية. حيث وقعت المؤسسات في ضعف المردودية وقلّة الفاعلية و ارتفع مستوى البطالة، فخرج الشعب الجزائري في إنتفاضة أكتوبر 1988 فتكثفت المحاولات للإسراع بالإصلاحات الإقتصادية، إلى جانب مشروع الإصلاح السياسي الذي بدأ بالاستفتاء على دستور فيفري 1989. نتيجة "تهميش وإقصاء غالبية المجتمع، بخاصة الشباب الذين يمثلون حوالي 75 % من السكان، عن القرارات الحاسمة في الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمع (22) وإهمال دور المثقف الجزائري، إلى أن تم الاعتراف بفشل التسيير الاشتراكي واتجه المثقف للمطالبة بضرورة إتباع سياسة إصلاحية " لتطویر وترقية التسيير الإداري والتربوي والمالي والإجتماعي وجعله من متطلبات المجتمع

المتجددة وتبسيط الضوء على ما هو غامض وتبادل الخبرات والتجارب بفضل الحوار المفتوح والبناء وتوحيد التصور وطرق العمل.

لكن للأسف هيمنت الثقافة البيروقراطية في الجزائر وأصبحت تمارس إحتكارا إداريا جعلت العمل الإداري يتصف بالتصلب والجمود والبطء وأصبح المواطن الجزائري الذي تقل خبرته بالتنظيم الإجتماعي والسياسي يعيش حياة معقدة ومتعبة لما يعانيه الشعب من ركود وخضوع لسيطرة النخبة البيروقراطية، وتراجع دور المثقف بشكل ملفت للانتباه، الذي من المفروض أن يسهم في ابتكار ونقد ونقل الأفكار لتكون طليعة في التغيير والتجديد وتطوير نظرة موضوعية عن المجتمع والمساهمة في ايجاد حلولاً للمشكلات قصيرة المدى، انعزل فكريا وثقافيا وتحول إما الى فرد يتصف بالإقصاء والغلق أو إلى فرد صامت يهتم بمصالحه الخاصة.

بدأ التحول الديموقراطي بالجزائر سنة 1989 في المسافة الفاصلة بين المثقفين والجماهير، على أساس أن الديموقراطية تستند إلى قاعدة شعبية حيث يعرف شومبير الديموقراطية بأنها " ذلك الترتيب النظامي الذي يستهدف التوصل إلى قرارات سياسية ويكتسب من خلالها الأفراد القوة على اتخاذ القرار في إطار صراع تنافسي من أجل أصوات الجماهير" (23) وظهرت التنظيمات الحزبية العديدة والتي اضطرت الى الدخول للمنافسة من أجل الحصول على أصوات الشعب وبهذا نتذكر ما قاله ميلز في مؤلفه عن صفوة القوة " أن المجتمع الحديث قد تحول إلى مجتمع الجماعات الصغيرة ذات القوة والنفوذ والتي يمكنها التأثير على صنع القرارات، لتظل في حالة سكون وهدوء ويبقى الوضع القائم محافظا على توازنه" (24) ورغم ما يروج عن النظام الديموقراطي في الجزائر فإنه لم يستطع أن يوفق بشكل حضاري بين الثقافة الوطنية والثقافة الإشتراكية والقيم الثقافة الإسلامية، مما أدى الى ظهور ما أطلق عليه البعض بأزمة الايديولوجيا الشعبوية، حيث حاولت هذه الايديولوجيا التوليف

بين عناصر دينية وأخرى علمانية، والحفاظ على الأصالة والتمسك بالتراث والانهار والتوق إلى العالمية، وبالتالي وجود مثقفين يحملون مشاريع متناقضة " هدرت فيه القوى والوقت".

ففي جوان 1990 وقعت أول انتخابات تعددية في تاريخ الجزائر وهي انتخابات محلية لتعيين مجالس البلديات والولايات ظهرت بفعلها المثقف ذو التوجه الديني في الجزائر، تأثر بها الشعب الجزائري بشكل كبير والتي اتخذت أشكال مختلفة كجمعيات اجتماعية أو أحزاب سياسية، حيث شاركت هذه الأخيرة في الانتخابات التشريعية . ونتيجة لتعارض المصالح بين المثقف ذو التوجه الديني و المثقف ذو التوجه الثقافي والسياسي. ونتيجة الصراع بين الفئات المثقفة في الجزائر ونتيجة الضغوطات التي مارسها أنذاك استقال رئيس الجمهورية وألغي المسار الانتخابي، فوجدت الجماهير نفسها تائهة وحائرة بين ما تقوله الفئات المثقفة المتصارعة.

إنقلت بعدها قيادة المثقفين ذو التوجه الديني من مثقفين ذو توجه وسطي إلى الفئات المتطرفة، فدخلت الجزائر فيما يعرف بالعيشية السوداء فظهر ما يعرف بالإرهاب و الذي جعل الجزائر تعيش على فوهة بركان منفجر، فكثرت الإجرام والعنف في المجتمع الجزائري، و استمر تأزم الأوضاع أكثر وأكثر ، إلى جانب التدهور البارز في خدمات القطاع الصحي، و التدهور المستمر على مستوى قطاع التعليم وظهور مشكلات إجتماعية عديدة منها السكن وتدهور مستوى المعيشي ... إضافة إلى زيادة الهجرة الريفية نتيجة لغياب الأمن في المناطق النائية والريفية وما نالهم من تهديد وسلب للأموال و عمليات القتل الجماعي و التخريب على يد الإرهاب، مما أدى إلى انتشار البيوت القصدية في المدن وغياب أدنى شروط الحياة الضرورية هربا من الإرهاب فازدادت في المقابل حالات الإنتحار والأزمات النفسية.

صدم الشعب الجزائري و دفع الثمن غاليا بسبب التسرع في إقامة التعددية دون أن يكون للمثقف الجزائري القدرة على استيعاب مضمون الديمقراطية ومبادئها وممارستها الفعلية واحتواء الإختلاف في الرأي والطرح و الفكر نتيجة غياب الحوار القائم على الاقناع بالحجة والمناقشات المبنية على الجدل والدفاع عن الأفكار وقبول نقدها فتقلصت امكانيات التعبير الحر التي تعد أهم أسس الديمقراطية. و باعتبار الديمقراطية أسلوب للعمل والتفكير وسلوكا اجتماعيا يكتسبه الفرد من مختلف مؤسسات المجتمع وتبدأ بطريقة تدريجية في ممارسات أخلاقية وتربوية وسلوكية لتنتقل إلى مستويات أعلى إداري كإعتماد الكفاءة والفاعلية في التوظيف وتطبيق مبدأ المساواة وعلى المستوى الإجتماعي تعني الاعتراف بحق المواطنة والمساواة بين المواطنين بغض النظر عن تمايزهم الجنسي أو العقائدي وعلى المستوى السياسي الاعتراف بالإرادة الحرة للأفراد وحقوقهم المدنية والتداول على السلطة بطريقة ديموقراطية سلمية. حيث حاول الرئيس الحالي تجسيدها في فكرة المصالحة الوطنية التي طرحها وقبلتها الفئات المثقفة بمختلف توجهاتها و الذي صوت عليها الشعب في سنة 2000 ووافق عليها أغلب الجزائريون، كمحاولة للتغيير نحو الأحسن في كل المجالات بدءا بتحسين المستوى المعيشي للمواطنين والقضاء على الفقر.

افتقدت الجزائر التوازن، وابتعد الشعب عن الالتزام الأخلاقي شيئا فشيئا، وزيادة الأنانية والمصلحة الخاصة، وزيادة التعدي على حقوق الغير، والتقصير الواضح في أداء الواجبات برزت قيم الصراع، وأعطت للفرد حرية أكبر في التصرف واستخدام الوسائل المختلفة للثراء السريع، ويمكن تفسير ذلك أن التغيير والتطور يمر بمراحل عديدة منها مرحلة إدراك الحاجة للتغيير تليها مرحلة البداية في التخطيط للتغيير وأخيرا مرحلة إدماج التغيير في سيرورة المنظمات والرجوع إلى حالة التوازن (25) ويبدو أن الجزائر لم تأخذ هذه المراحل بالإعتبار بل تجاهلها المثقفين الجزائريين، بل أنها سارت في طريق

التغيير دون إدراك في أي اتجاه يسير ودون إدراك لآليات التغيير وتطبيقها، وبرغم الطابع الديموقراطي للمجتمع الجزائري إلا أن الفئات المثقفة تعودت على قبول الوضع الراهن وامتداحه. وهكذا تنازلت الفئات المثقفة الجزائرية عن مسؤوليتها وتنازلت عن دورها التاريخي كفاعلين إجتماعيين وسياسيين وتربويين ... ، وغاب الحس النقدي لدى النخبة المثقفة و أصبحت تعيش على هامش المجتمع، وأصبح العنف ميزة الحياة في المجتمع الجزائري. ومع استمرار التغييرات في الجزائر ظهرت فئات مثقفة نفعية التي تنتفع إما مادياً أو معنوياً، وأصبح يكثر الحديث بين الناس عن غياب المثقف الذي من المفروض أن يكون مثال يحتذى به... الى جانب ظهور فئات مثقفة ليس لها إهتماما بالفكر الراقى والثقافة....

كما ظهرت فئات مثقفة اختارت الانزواء والانعكاف عن المجتمع التي أصبحت تلعب دور سلبي تماما وأخرى لا يهتمها ما يحصل للبلاد التي فقدوا الأمل في اصلاحها. وأصبحت النخب الثقافية الجزائرية وخاصة خريجي الجامعات تعيش اضطراب فكري راجع الى التناقض الذي تعيشه الجزائر، و تحميل المجتمع مسؤولية الفشل في السياقات السياسية والثقافية والإقتصادية حيث تتردد على مسامعنا باستمرار بعض الجمل التي تعبر عن أفكارهم منها: "نحن حاملي شهادات ولسنا حاملي ثقافات"

مما جعل المثقف الجزائري يشعر بالإرهاق وربما السبب هو عدم وعي المثقف نفسه بضرورة الايمان بفكر جديد يؤهلهم لإصدار قرارات صحيحة، لذا فإن كل المشكلات الاجتماعية المختلفة من "التعصب الديني، حب المصلحة الضيقة، جمع المال، استغلال النفوذ تراجع فعالية التعليم... الخ، يجب أن يعيها المثقف كل الوعي و يجد حلول لها من خلال:

(1) إعطاء فرصة للمثقف أن يعبر عن رأيه بحرية لأن ذلك يعبر عن يقظة ضد أي انحراف في الممارسة الديموقراطية والهدف ليس إيذاء البلاد أو

المساس بمصلحتها، أو النقد لأجل النقد، إنما الهدف تصحيح الأخطاء في وقتها وعدم جعل الأخطاء تتراكم، والأخطاء من صفات البشر ولا بد لها أن تقع وليس العيب في وقوعها بل في عدم بدل الجهد لإصلاحها والجزائر بلد كل الجزائريين تعبر عن انتمائهم ووجودهم.

(1) تعليم جديد يشجع الوعي والإبداع ويعمل على تكوين مثقفين جدد يشاركون ولا يعادون ينجحون في كشف الرهانات ويجعلون تماسك المجتمع ومصلحته فوق كل اعتبار من أجل المساهمة الفعالة في معالجة القضايا المستعجلة عن طريق تجاوز الفكر الضيق والمتطرف والتعصب .

(2) القضاء على التسيير التقليدي بالقضاء على البيروقراطية والمركزية والنمطية والتخصص الشديد و استبداله بأخر حديث يساعد في تجسيد الدولة الحديثة وإرساء دعائم مجتمع الديموقراطي حديث ومستقر

الخاتمة :

يرجع عدم قدرة المجتمع الجزائري على التقدم في عصر التغيرات لعدم الوعي المثقف الجزائري بنوع المستقبل الذي يفرض نفسه والجهل بالحاجات الجديدة للمجتمع. فعندما يسود هذا الجهل وتنعدم الرؤية الصحيحة للمستقبل، تنعدم القدرة على التقدم ويحكم على المجتمع بأنه متأخر. واتجاه المثقف الجزائري إلى تبرير عجزه وكسله وفشله في خوض مغامرة التعرف على المجتمع وإقامة جدل عميق معه بإلقاء اللوم على المجتمع ويطالب بمجتمع يحوي مقاييس ومعايير معينة تفتح له الباب لينظر ويعطي رأيه، دون أن يعي أنه إذا كان المجتمع راق ومتقدم فهو الذي يقوم بخطوة الفعل الأولى فإنه ليس بحاجة لوجود المثقف فيه وحينها يمكن الاستغناء عنه لأنه حينذاك بلا وظيفة ولا مهمة ولا فائدة من وجوده .

واقع الاندماج الاجتماعي للمثقف ودوره في بناء المجتمع الجزائري..... رويمل نوال

الهوامش :

- (1) مجموعة من الكتاب (1997) نظرية الثقافة، ترجمة: علي الصاوي، عالم المعرفة (223) الكويت ص9.
- (2) Spradley,P.James, Culture and cognition, chandle publishing company, San Francisco 1972, P-P: 6-7
- (3) Julien Benda, La Trahison des clercs, Éditions Grasset, Paris, 1927. Ouvrage réédité en 1946.La dernière édition 2003.
- (4) Gerard O'donnell, Mastering sociology, 2nded, Macmillan press London 1988, p5.
- (5) رالف لنتون : الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ، ترجمة ، عبد المالك ناشف ، المكتبة العصرية، بيروت1967، ص143.
- (6) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة، 1979.
- (7) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر، بيروت، 1968.
- (8) محمد شكري سلام، وظائف المثقف وأدواره بين الثبات والتغير، مجلة المستقبل العربي، ع 200، ص 65.
- (9) أحمد موصلي و لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، ط1، 2002، ص-ص: 18-19.
- (10) برهان غليون ، اغتيال العقل ، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير، ط1، 2002، ص-ص 18-19.
- (11) محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسة الوحدة العربية، ط1، 1995.ص34.
- (12) محمد العربي الخطابي، الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء، مطبوعات اكااديمية المملكة المغربية- سلسلة " الندوات " مكناس، 4 و 5 ديسمبر، الرباط 1993، ص 2.
- (13) ادوار سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة دا محمد عناني ، - ط 1 ، بدون بلد ، 2006، ص41
- (14) علي أمليل، سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عصر متحول، ط 1، مركز الثقافي العربي، سوريا، 2005، ص 24.
- (15) ادوار سعيد، المثقف والسلطة ، ص77.

- (16) جيرار ليكريك، سوسيولوجية المثقفين، ترجمة جورج كتورة، ط 1، دار الكتاب الجديد، بدون بلد، 2008 ص 6.
- (17) جريدة الشروق، من يتذكر النخب، فوزي أصدق الجزائري، 2009/4/22.
- (18) سعيد أوكيل وآخرون، استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1994، ص 27.
- (19) تركي راجح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 1990، ص 31.
- (20) رويمل نوال، القيادة وتسيير الموارد البشرية، بط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2009 ص 29.
- (21) عنصر العياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، بط، مركز البحوث العربية، القاهرة، 1999، ص 16.
- (22) عنصر العياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، ص 9.
- (23) محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، ب ط، الاسكندرية، 2009، ص 99.
- (24) محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 36.
- (25) جمال الدين لعويسات، السلوك التنظيمي والتطوير الإداري، ط 1، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2002، ص 65.